بنية الزمن في رواية (هشيم السابالية) لرهام وليد سليمان

د. محمَّد نبي أحمدي
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي، كرمانشاه، إيران
mnabiahmadi@razi.ac.ir
عبد الرحمن حكمت
طالب ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي، كرمانشاه، إيران
b01955765@gmail.com

The structure of time in the novel (Hashim Al-Sabalia) by Reham Walid Suleiman

Dr. Muhammad Nabi Ahmadi
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Razi University, Kermanshah, Iran
Abdul Rahman Hikmat
Master's student, Department of Arabic Language and Literature, Razi University, Kermanshah, Iran

الملخص:-

يُعتبر الزمن عنصراً أساسياً جوهرياً في تشكيل البنية الروائية للسرد، حيث يسهم في تشكيل الأحداث وتعميق الدلالات داخل النص. يرتبط الزمن في الرواية بالأحداث ارتباطاً عضوياً، سواء كانت هذه الأحداث مستوحاة من الواقع أو من الخيال. يعمل الزمن على خلق سياق زمني يمنح القارئ إحساساً بالتواصل مع العوالم الروائية، سواء من خلال استحضار الماضي أو تصوير الحاضر أو استشراف المستقبل. هذا الارتباط لا يقتصر على تسلسل الأحداث فحسب، بل يتجاوزه ليكشف عن طبقات الشخصيات و تحولاتها النفسية والاجتماعية، مما يجعل الزمن مكوناً جوهرياً في بناء الواقع الروائي.

النص يسلط الضوء على رحلة التحول العميقة التي تمر بها الفتاة؛ فهو يرصد تباين الأدوار بين الضحية والقوة، حيث تبدأ حياتها في حالة من الألم والظلم تجعلها في انتظار لحظة الانتقام تعد دراسة الزمان في رواية هشيم السابالية بمثابة إطار رمزي يصور رحلة التحول الشخصي والتحرر من الألم والظلم.

بنية الزمن في هشيم السابالية جاءت محكمة ومتقنة، تعكس رؤية سردية عميقة، إذ لم يُوظف الزمن كخلفية محايدة للأحداث، بل بوصفه أداة فنية تسهم في تعقيد البناء الروائي، مما يعزز من التأثير العاطفي والمعنوي على القارئ، ويدفعه للتفاعل مع مصير الشخصيات ومآلات الحكاية. كما يُبرز المقال كيف تعمدت الكاتبة كسر التسلسل الزمني التقليدي، متنقلة بين الماضي والحاضر بطريقة تعكس اضطراب البطلة النفسي وتطور رحلتها من الضحية إلى الباحثة عن الانتقام والتحرر.

يمكننا دراسة البنية الزمانية لهذه الرواية باستخدام منهج السرد البنيوي مع تركيز خاص على البعد الزمني.

أظهرت نتائج دراستنا أن تلاعب الكاتبة بالزمان وتوظيفه بطرق متعددة يسهم في بناء الأحداث بشكل مشوق، حيث يعمل الزمن على تعميق التوتر الدرامي وتوسيع أفق القارئ لفهم أبعاد الشخصيات وتفاعلاتها.

الكلمات المفتاحية: الأدب، الرواية، الزمن، هشيم السابالية، رهام وليد سليمان.

Abstract:-

Time is a fundamental element in shaping the narrative structure, contributing to the formation of events and deepening meaning within the text. In a novel, time is organically linked to events, whether these events are inspired by reality or imagination. Time creates a temporal context that grants the reader a sense of connection to the fictional world, whether through evocation of the past, depiction of the present, or anticipation of the future. This connection is not limited to the sequence of events but extends to revealing the layers of the characters and their psychological and social transformations, making time an essential component in constructing the fictional reality.

The text sheds light on the profound transformation the girl undergoes; it observes the contrast between the roles of victim and power, as her life begins in a state of pain and injustice, leaving her awaiting a moment of revenge. The study of time in the novel "Hashim Al-Sabalia" serves as a symbolic framework depicting the journey of personal transformation and liberation from pain and injustice. The temporal structure in "Hashim Al-Sabalia" is tightly constructed and meticulously crafted, reflecting a profound narrative vision. Time is not employed as a neutral backdrop to events, but rather as an artistic tool that contributes to the complexity of the narrative structure. This enhances the emotional and moral impact on the reader, compelling them to engage with the characters' fates and the story's outcomes. The article also highlights how the author deliberately disrupts the traditional chronological order, shifting between past and present in a way that reflects the protagonist's psychological turmoil and the evolution of her journey from victim to seeker of revenge and liberation.

We can analyze the temporal structure of this novel using structuralist narrative techniques, with a particular focus on the temporal dimension.

Our study reveals that the author's manipulation of time and its diverse applications contribute to the engaging construction of events. Time serves to deepen the dramatic tension and broaden the reader's understanding of the characters' dimensions and interactions.

Keywords: Literature, Novel, Time, Hashim Al-Sabalia, Reham Walid Suleiman

المقدمة:ـ

إن أهمية الزمن في الرواية لا تكمن فقط في بيان الإطار العام للأحداث، بل تمتد إلى التأثير في إيقاع السرد وطبيعته. فقد يكون الزمن بطيئاً يتماهى مع المشاعر العميقة، أو سريعاً يعكس توتر الموقف وتسارع الأحداث. وهو ما يجعل الزمن أداة بيد الكاتب، يوظفها ببراعة لتوجيه انفعالات القارئ وتشكيل رؤيته للنص.

إنَّ الزمنَ لا يتحقَّق إلا بحركةِ الأشياء وتغيُّرها، فبدونِ هذا التفاعلِ بين الثباتِ والتحوُّلِ يغيبُ الزمنُ كَمفهومٍ قائمٍ بذاته. وهنا تبرزُ الروايةُ كفنٍّ سرديٍّ يستطيعُ تجسيدَ هذا الترابطِ العجيبِ بين الزمنِ والحركةِ، عبرَ حبكةٍ تنسجُ الوقائعَ وتُعيدُ تشكيلَ اللحظاتِ، فتُحوِّلُ الزمنَ من مُجرَّدِ إطارٍ خاوٍ إلى عنصرٍ فاعلٍ يَنبضُ بتفاصيلِ الشخصياتِ وتطوُّرِ الأحداثِ. «كان مفهوم الزمن موضع لبس واختلاف بين المفكرين، سواء القدامى منهم أم المحدثون، لكنهم ربطوا بينه وبين الحركة والتغير في الأشياء، فبدون حركة وتغير لا يوجد زمان، والزمان يعتمد على هذه الحركة وهذا التغير ويقاس بالفواصل القصيرة والطويلة التي تتعاقب فيها الأشياء.» (الآلوسي، ٢٠٠٥، ص١٦٩) لذا أنَّ الزمنَ وليدُ التغيُّرِ، والتغيُّرُ جوهرُ الوجودِ.

حيث تعتبر الرواية الحقل الأدبي الأكثر خصوبة لاستكشاف أثر الزمن في تكوين الأحداث وتطور الشخصيات، بل وفي تشكيل دلالة النص نفسه. لذا تعد «الرواية من أكثر الفنون الأدبية ارتباطا بالزمن نظرا لطبيعته المرنة التي تجعله يتشكل داخل الخطاب الروائي، وفق ما يقتضيه بناؤه العام ونظرا أيضا لارتباط الرواية بالحياة الإنسانية والواقع البشري، الأمر الذي جعلها الحقل الأكثر خصوبة والذي من خلاله يمكن معرفة دور الزمن في تشكيل المادة الحكائية، وصقله للشخصيات وإدارته للأحداث.» (طيي، ٢٠١٠، ص١٦، ١٧) وبهذا يصبح الزمن أداة سردية قوية، تتحكم في إيقاع النص وتحدد طريقة تلقي القارئ له.

أسلوب رهام وليد سليمان يجمع بين العمق النفسي، والبناء السردي المحكم، واللغة المشبعة بالصور والدلالات، ما يجعل أعمالها تقدم تجربة أدبية ثرية تستحق التوقف عندها بالدراسة والتحليل. تتقن رهام رسم المشاهد بتفاصيل حية نابضة، بحيث يتحول الوصف

من مجرد رسم خارجي للأماكن والشخصيات إلى أداة نفسية تعكس مشاعر الأبطال وحالتهم الذهنية.

أبدعت رهام وليد سليمان في توظيف الزمن في رواية هشيم السابالية، حيث استطاعت أن تتجاوز التوظيف التقليدي للزمن كإطار خطي للأحداث، وحولته إلى عنصر ديناميكي يعكس الحالة النفسية للشخصيات، ويعزز من رمزية النص. برعت الكاتبة في التنقل بين تقنيات الاسترجاع والاستباق، فمزجت بين الماضي والحاضر والمستقبل بطريقة تعكس تشظي الشخصيات وصراعها الداخلي. لم يكن الزمن مجرد سياق زمني محايد، بل لعب دوراً فعالاً في إبراز تحولات الأبطال وانكساراتهم، فتارة يتسارع ليعكس ارتباكهم، وتارة يتباطأ ليكشف عن أعمق مشاعرهم وهواجسهم.

تتميز الرواية بأنها تقدم رؤية مختلفة لمفهوم البطولة والضحية، إذ تكسر النمط التقليدي لتصور الشخصية الرئيسية، فتحولها من ضحية مظلومة إلى كيان متمرد، يعيش على حافة الخير والشر، بين الانتقام والخلاص. هذا التمرد يتجلى ليس فقط في الأحداث، بل في البناء السردي نفسه، حيث توظف الكاتبة تقنيات مثل الاسترجاع والاستباق، وتسريع السرد وإبطائه، لتكثيف الحالة النفسية للشخصيات وتشكيل إيقاع الرواية بما يتناسب مع تطور الحبكة.

في هذا البحث، تناولنا موضوع الزمان بشكل معمق من خلال استعراضه من عدة زوايا مختلفة. بدأنا بتقديم ملخص موجز عن رواية هشيم السابالية وسياقها العام، قبل أن نتناول مفهوم الزمان من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية. كما ركزنا على المفارقات الزمنية في الرواية، متعرضين لتقنيات الاسترجاع والاستباق، بالإضافة إلى تحليل آليتي تسريع السرد وإبطائه، بهدف توضيح كيفية توظيف الزمان في بناء الرواية وتفاعل الشخصيات مع الأحداث.

الدراسات السابقة

رغم وفرة الدراسات التي تناولت بنية الزمن في الروايات، لم تحظَ رواية هشيم السابالية حتى الآن بأي دراسة أكاديمية متخصصة، سواء على مستوى تحليل بنيتها الزمنية

أو غيرها من العناصر السردية، ويعود ذلك إلى حداثة صدورها في عام ٢٠٢٤م. ومع ذلك، يمكن الاستناد إلى أبرز الدراسات التي تناولت بنية الزمن في الروايات بشكل عام، والتي تُعد مرجعًا مهمًا لفهم كيفية تشكل الزمن السردي وآلياته الفنية في النصوص الروائية هي:

١- جهينة ربوح، د. حمزة قريرة (٢٠١٧م.) (بنية الزمان في رواية "في الجبة لا أحد" لزهرة ديك)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تهدف الدراسة إلى اكتشاف كيفية اشتغال الزمن داخل النصوص الروائية والبحث عن أدوات وأشكال توظيفه في الرواية.

٢- بوهلالة، محمد (٢٠١٨م.) (بنية الزمن في رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج)، منذ أمد بعيد و الإنسان يبحث في مقولة الزمن، ويتساءل عن دلالته في تأملاته العميقة. كان الزمن وما يزال يثير الاهتمام في مجالات معرفية مختلفة، منها علوم الفيزياء والرياضيات والفلسفة واللسانيات وغيرها. غير أننا نحاول مقاربة هذا المفهوم من خلال مقولاته التي تتقاطع أو تتداخل أو تتقابل بشكل أو بآخر في الخطاب الروائي.

٣- رحموني ليلى، د. رقاب كريمة (٢٠٢٠م.) (البنية الزمنية في رواية "قصر الصنوبر" لإلهام بورابة) مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الماستر في اللغة والأدب العربي، من خلال هذه الدراسة تحاول الكشف عن تقنيات بناء الزمن في رواية " قصر الصنوبر " بوصفها من أوائل الإصدارات الروائية للكاتبة الجزائرية "إلهام بورابة. وتركز في دراستنا حول هذا الموضوع على ما أفرزته جهود الباحث الفرنسي " جيرار جنيت" حول المفارقات الزمنية وإيقاع الزمن والتواتر باعتبارها أهم محاور رصد الزمن وإظهار خصوصيته.

٤- زينة إسمهان، د. معمر الدين عبد القاد (٢٠٢١م.) (بنية الزمن بين مؤشري الاستباق والاسترجاع في رواية تصريح بضياع "السمير قسيمي") مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر، الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن البنية الزمنية، وكذلك رصد حركتها من خلال سير أحداث الرواية.

٥- خولة مش، د. حمزة قريرة (٢٠٢٣م.) (بنية الزمن في رواية "صدقي الذي قتلني" المراد بوكرزازة)، مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، يدرس هذا البحث بينة الزمن في رواية "صدقي الذي قتلني" لمراد بوكرزازة إذ أردنا من خلاله إبانة تجليات الزمن في هاته الروائية اعتمادا على المنهج البنيوي الأنسب لهذه الدراسة، والتي تضمنت أهم عناصر السرد الروائي المستخدمة في المدونة المدروسة مع إظهار وظيفتها وحتمية تواجدها في النص الروائي. بدءا بالمفارقة الزمنية التي تخلق تلاعبا بالنظام الزمني عبر تقنيتي الاسترجاع والاستباق باتجاه الماضي أو الحاضر أو المستقبل خدمة للراوي والرواية والقارئ

إلا أنه، وكما أشرنا سابقاً، لم يُكتب حتى الآن أي بحث علمي عن رواية هشيم السابالية، نظراً لأنها طبعت في ٢٠٢٤م.

مفهوم الزمن

لغة: يُعد الزمن واحداً من أكثر المفاهيم التي حظيت باهتمام كبير في كتب التراث والمعاجم، ومن بين هذه المعاجم لسان العرب حيث ذكر فيه أن الزمان «زمان الرطب والفاكهة وزمان الحر والبرد، ويكون الزمن شهرين إلى ستة أشهر، والزمن يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه، وأزمن الشيء: طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان: أقام به زماناً.» (ابن منظور، ١٩٩٢م، ص٢٢٠)

وورد في معجم مقاييس اللغة تعريفه كالآتي: «زمن الزاي والميم والنون أصل واحد يدل على وقت من الوقت من ذلك الزمان، وهو الحين قليلة وكثيره، يقال زمان وزمن الجمع أزمان وأزمنة.» (ابن فارس، ١٩٧٩م، ٣/ ص٢٢)

وترى مها حسن القصراوي «إن الزمن في الحقل الدلالي الذي تحتفظ به اللغة العربية إلى اليوم هو زمن مندمج في الحدث، بمعنى أنه يتجدد بوقائع حياة الإنسان وظواهر الطبيعة وحوادثها وليس العكس، إنه نسبي حسي، تتداخل مع الحدث مثله مثل المكان الذي يتداخل مع المتمكن فيه.» (قصراوي، ٢٠٠٤م، ص١٢،١٣)

أي أن الزمن ليس كياناً ثابتاً، بل هو في حالة تدفق مستمر، يتغير ويتجدد مع كل حدث نعيشه، حيث إنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتجارب والوقائع التي تحدث في حياتنا.

اصطلاحاً:

إن الزمن، رغم أنه غير مرئي أو ملموس، هو قوة مؤثرة جداً في حياتنا. نحن لا نستطيع أن نراه أو نسمعه أو نشعر به بشكل مباشر، لكننا نرى آثاره على كل شيء حولنا. كما عبّر عبد المالك مرتاض عن الزمن بقوله إنه «مظهر وهمي، يُؤْمَنُ الأحياء والأشياء فتتأثر بماضيه الوهمي غير مرئي غير محسوس والزمن كالأكسيجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا وفي كل مكان من حركتنا، غير أننا لا نحس به، ولا نستطيع أن نلتمسه، ولا نراه ولا أن نسمع حركته الوهمية على كل حال ولا نشم رائحته، إذ لا رائحة له وإنما نتوهم، أو نتحقق، أننا نراه في غيرنا مجسدا في شيب الإنسان وتجاعيد الوجه، سقوط الشعر، وتساقط أسنانه.» (مرتاض، ١٩٨٨م، ص١٧٢،١٧٣) الفكرة الأساسية هي أن الزمن قوة خفية لكنها قوية، تؤثر على كل شيء، ونحن ندرك وجوده فقط من خلال التغيرات التي يسببها.

أما جيرالد برنس، فقد قدم تعريفاً للزمن يختلف في زاويته، حيث رآه «الفترة أو الفترات التي تقع فيها المواقف والأحداث المقدمة (زمن القصة)، والفترة أو الفترات التي يستغرقها عرض هذه المواقف والأحداث (زمن الخطاب).» (جيرالد، ٢٠٠٣م، ص٢٠١)

التعريف بالكاتبة

رهام وليد سليمان هي كاتبة سورية ولدت في دمشق في عام١٩٧٥م. نشأت في عائلة محبة للأدب والثقافة، مما ساهم في تشجيعها على الكتابة منذ سن مبكرة. تلقت تعليمها الأولي والثانوي في دمشق، وتخرجت من جامعة دمشق حاصلة على درجة البكالوريوس في الأدب العربي.في سوريا، حيث كانت تنشر قصصاً قصيرة ومقالات تعكس اهتماماتها بالقضايا الاجتماعية والثقافية. في عام ٢٠٠٨م. نشرت روايتها الأولى "هشيم السابالية" التي حققت نجاحاً كبيراً وأكسبتها شهرة واسعة في العالم العرب

بعد اندلاع الأزمة السورية في عام ٢٠١١م، اضطرت رهام إلى الهجرة إلى الخارج. تعيش حالياً في ألمانيا، حيث تستمر في الكتابة والتأليف. تشارك رهام في العديد من المؤتمرات الأدبية والفعاليات الثقافية، وتستمر في نشر أعمالها التي تتناول قضايا مختلفة تتعلق بالهوية والانتماء والتحديات التي تواجه المجتمعات المهجرة.

رهام وليد سليمان تعتبر واحدة من أبرز الكتاب السوريين المعاصرين، وتستمر في تقديم رؤى جديدة وعميقة عن الواقع السوري والعالمي من خلال أعمالها الأدبية.

التعريف بالرواية:

في قالبٍ من الألم والظلام، تبدأ رحلة "فتاة العاشرة" التي تُسحق تحت وطأة اغتصاب قاسٍ، لتبقى حبيسةَ صدمةٍ تهدُّ كيانها. لكنّ القدر، بلمسةٍ قاسمةٍ من سخرية الأقدار، يمدُّ لها حبلَ خلاصٍ ملوَّث: كتاباً سحرياً مُغلفاً بأسرارٍ عمرها آلاف السنين، يُطلق من بين صفحاته روحاً شريرةً محبوسةً تئنُّ تحت رغبةٍ جامحة في الانتقام.

هكذا تتحول الفتاة من ضحيةٍ مُكسَّرة إلى ساحرةٍ غامضة، تخطو في رحلةٍ ملتوية إلى بلادٍ بعيدة حيث لا أحد يعرف وجهها المُدمى. لكن القوة الجديدة ليست هبةً بلا ثمن؛ فالروح الشريرة التي تستنجد بها ليست أداةً طيّعة، بل كائناً عتيقاً يَلفظ قيوده، ينظر إلى الفتاة كجسرٍ للعبور نحو انتقامه الخاص. هنا يبدأ تحالفٌ خطرٌ: فتاةٌ تبحث عن عدالةٍ دامية، وروحٌ تستعد لالتهام كل مَنْ وقف في طريقها، حتى حليفتها.

بينما تتقاطع خطاهما في القصر السحري المهيب، حيث الجدران تتنصت والأرواح الخائفة تُحذِّر: "احذر أن تشعر بك هشيم". تُصبح الأسئلة مصيرية: هل ستتمكن الفتاة من ترويض الروح العاتية قبل أن تتحول هي ذاتها إلى أداةٍ في يدها؟ أم أن نار الانتقام ستحرقها مع أعدائها؟ وهل ستبقى بطلةً تُصارع من أجل إنصافٍ ما، أم ستسقط في هاوية "السابالية" حيث الضحية والجلاد يتشابهان؟ روايةٌ تنسج من الألم سحراً، ومن الظلم خراباً، تطرح سؤالاً وجودياً: هل الانتقام تحريرٌ أم سجنٌ أبدي؟

الاسترجاع الداخلي

يُعتبر الاسترجاع الداخلي أداةً لخلق تعقيد زمني وثراء سردي، يعكس براعة الراوي في إدارة تعدد الأحداث دون التقيّد بالتسلسل الخطي. «ويختص هذا النوع باستعادة أحداث ماضية لكنها لاحقة بزمن بدء الحاضر السردي وتمتع في محيطه ونتيجة لتزامن الأحداث يلجأ الراوي إلى التغطية المتناوبة حيث يترك شخصية ويصاحب أخرى ليغطي حركتها وأحداثها.» (القصراوي، ٢٠٠٤، ص١٩٩) يتميز هذا النوع من الاسترجاع بالتركيز على تزامن الأحداث والتداخل بين الخطوط السردية. وقد قدّمت الكاتبة رهام

وليد سليمان العديد من الاسترجاعات الداخلية، ونورد منها على سبيل المثال «وقد سألتها والدتها عما حدث لها فتقول (لورا) لها «لقد غبت عن الوعي فجأة بعد أن باغتني صداع كالرعد قصف صدغي، ثم استيقظت في منزل عتيق يبدو أنه كان منزل ذلك العجوز شون.. المريض الذي جاءني صباحًا للعيادة، رأيته في المنزل وقد بدا أصغر سنا يمسك بصور أطفال أعتقد أنهم أولاده الثلاثة المخطوفين كما أخبرني ! كما أن الصورة تحركت حينما لمستها، ورأيتهم أمامي وكأني معهم على الشاطئ.» (الرواية، ٤٧) الاسترجاع الداخلي في هذا النص يعكس اضطراباً نفسياً وانفصالاً مؤقتاً عن الواقع تعيشه الشخصية (لورا)، إذ ينتقل وعيها فجأة من لحظة الحاضر حين باغتها الصداع إلى مشهد غريب ومربك في منزل العجوز "شون"، حيث تراه شاباً يحمل صوراً لأطفاله المفقودين. هذا النوع من الاسترجاع يتغلغل داخل وعي الشخصية نفسها، فيشكل امتداداً لتجربتها الشخصية والذاتية، وهو مرتبط شعورياً بلحظتها الحالية.

يؤكد جينيت هذا الرأي من خلال تعريفه للاسترجاع الداخلي، حيث يوضح «تلك التي تتناول خطاً قصصيا مختلفا عن مضمون الحكاية الأولى، وهي تتناول إما شخصية يتم إدخالها حديثا ويريد السارد إضاءة سوابقها أو شخصية غابت عن الأنظار منذ بعض الوقت ويجب استعادة ماضيها قريب العهد، ولعل هاتين هما وظيفتا الاسترجاع الأكثر تقليدية.» (جينيت، ١٩٩٧م، ص٦١) الاسترجاع الداخلي في هذه الحالة يعمل على تعزيز فهم القارئ للماضي الذي يشكل الحاضر، ويفتح المجال لفهم العلاقات بين الشخصيات وتطوراتها داخل الرواية.

الاسترجاع الخارجي

ينفصل الاسترجاع الخارجي عن الزمن الأساسي للقصة، متبعاً خطاً زمنياً مستقلاً لا يرتبط بتسلسل الأحداث الجاري. يعرفه عاشور يقول: «هو الذي يعود إلى ما وراء الافتتاحية وبالتالي لا يتقاطع مع السرد الأولي الذي يتموقع بعد الافتتاحية لذلك نجده يسير على خط زمني مستقيم خاص به فهو يحمل وظيفة تفسيرية لا بنائية.» (عاشور، ٢٠١٠م، ص١٨) وهو ذلك الاسترجاع الذي تبقى مدته بالكامل خارج نطاق الحكاية الأصلية.

وقد ذكرت الكاتبة رهام وليد سليمان العديد من الاسترجاعات الخارجية نذكر منها.

«وفي الأيام التي كان يحن فيها قلبها لارباياتها الشقراوات اللاتي قامت بتوديعهن جميعا في صندوق خشبي كبير» (الرواية، ص٢٣) هذا الاسترجاع لا يرتبط مباشرةً بالأحداث الجارية، بل ينفصل عنها ليضيء مشاعر داخلية دفينة، موضحاً التأثير العاطفي الذي يربطها بماضيها. «يعد الاسترجاع من أكثر التقنيات الزمنية السردية حضورا وتجليا في النص الروائي فهو ذاكرة النص، ومن خلاله يتحايل الراوي على تسلسل الزمن السردي، إذ ينقطع زمن السرد الحاضر ويستدعي الماضي بجميع مراحله ويوظفه في الحاضر السردي، فيصبحجزءا لا يتجزأ من نسيجه.» (قصراوي، ٢٠٠٤، ص١٩٢)

ثم تواصل كلامها الراوية لتضيء لحظة من ماضي شخصية (لورا) حيث تقول: «كان كل شيء من حولها جميل ويُذكرها بالشجرة التي اعتادت هي ووالدتها تزيينها عند اقتراب الميلاد. بالإضافة للأجربة الحمراء المليئة بالسكاكر الدبقة التي تتشبث بالأسنان لأيام عدة، حيث حاولت في إحدى المرات نزع إحدى القطع العالقة في تقويم أسنانها المعدني فانكسر، واضطرت والدتها للذهاب بها ليلا إلى المستشفى لانتشال القطعة المعدنية التي غرزت بلثتها.» (الرواية، ص٣١) الذكرى تبدأ بصورة جميلة لشجرة الميلاد والأجواء الاحتفالية، ما يعكس حنينها إلى أوقات سعيدة مع والدتها.

ثم يأخذ الاسترجاع منعطفاً عاطفياً وفكرياً لدى شخصية الام (ايزابيل) إذ تستدعي لحظة من الماضي حيث تقول: «وعندما وصلت إلى دمشق، عرفت لم كانت تستهل مطالبها من الرب على السجادة بعبارة كان يقشعر لها بدني ولم أفهمها أبدا حتى اليوم يارب اجعل منيتي في الشام.» (الرواية، ٥٣) هذا الاسترجاع لا ينبثق من سياق الحدث الحالي مباشرة، بل يتصل بزمان ومكان منفصلين عن خط السرد الأساسي. دلالته تكمن في كشف التطور النفسي للشخصية؛ ففي الماضي، لم تفهم (ايزابيل) معنى دعاء جارتها التي اعتبرتها بمثابة والدتها وكان يقتصر إحساسها على القشعريرة والغرابة. أما الآن، بعد أن وصلت إلى دمشق، أدركت عمق ذلك الدعاء ومعناه، مما يضفي على اللحظة إحساسًا بالحنين، وربما بالرضا أيضاً لفهمها المتأخر لما كانت تشعر به جارتها. «هو مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر، استدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر.» (جيرالد، ٢٠٠٣، ص١٦)

بعد ذلك، بدأت إيزابيل تستعيد ذكرياتها، مسترجعة لحظات تعرّفها على حبيبها الذي أصبح فيما بعد زوجها، مستذكِرة تفاصيل لقائهما الأول وما رافقه من مشاعر وانطباعات رسمت ملامح علاقتهما.«رغم أنه كان يذكرني بأبي، حينما نجتمع مع رفاقه ويستلم دفة الحديث، يطرب آذان الجالسين بأحاديثه التي لا تمل، ثقافته التي لا حد لها.» (الرواية، ص٦٢) هذا النوع من الاسترجاع لا يقتصر على استحضار ذكرى عابرة، بل يضيء جانبًا من التشكيل النفسي لشخصية الساردة وعلاقتها بالشخص الآخر، مما يجعل الماضي حاضرًا في تفسير مشاعرها وسلوكها الراهن. «تبرز أهمية الاسترجاعات الخارجية في منح الكثير من الشخصيات الحكائية الماضية فرصة الحضور والاستمرارية في زمن السرد الحاضر، باعتبارها شخصيات محورية وأساسية في بنية النص السردي.» (القصراوي، ٢٠٠٤، ص١٩٩) إذن الاسترجاع الخارجي هو استدعاء لأحداث وقعت في زمن سابق خارج نطاق الحكاية الأساسية، ويتيح لبعض الشخصيات الظهور مجدداً في سياق الزمن الحاضر داخل السرد.

الاستباق

هو تقنية سردية تعتمد على كسر التسلسل الزمني الطبيعي للأحداث عن طريق ذكر حدث مستقبلي (لم يحدث بعدُ في الزمن الحالي للسرد) أو الإشارة إليه مسبقاً، بهدف خلق توقع أو تشويق أو ربط عناصر القصة بشكلٍ مُحكم. «هو السرد اللاحق وكما يوضح جيرار جنيت «هو الذي تروى فيه الحكاية بعد اكتمال وقوعها تماما.» (القصراوي، ٢٠٠٤م، ص١٩٩) تضمّنت الراوية العديد من الاستباقات التي لم تكن مجرد توقعات مستقبلية للأحداث، بل شكلت جزءًا من البنية السردية، ما منح النص بعداً زمانيًا متداخلاً يعمّق فهم القارئ لتطور الحبكة. ونستعرض منها بعض النماذج التي تعكس رؤية الراوية وتوظيفها للأستباق كأداة فنية لتوليد الترقب والتشويق «أملك من العمر اثنان وعشرون خريفاً، ودقق بأني قد قلت "خريفًا " لا تستعجل ! ستعرف لاحقا لم سنين حياتي خريفًا لا ينتهي.» (الرواية، ص١٦) هذا النص يُظهر كيف يمكن للأستباق أن يكون أداةً شعريةً ووجوديةً وليس مجرد تقنية سردية الخريف هنا ليس مجرد فصل، بل استعارةٌ مفتوحةٌ تُحمِّل القارئ مسؤولية تأويلها، وتجعل الزمن نفسه شخصيةً في الرواية.

«فإن كان الاسترجاع هو العودة إلى الماضي فإن الاستباق يعني كل حركة سردية تقوم على سرد حدث لاحق أو ذكره مقدماً.» (الصالح، ٢٠٠١م، ص١٩٧)

وقد ذكره حسن بحراوي في كتابه بنية الشكل الروائي" حيث قال: «وتعتبر التطلعات والاستشراق الزمني عصب السرد الاستشراقي ووسيلته إلى تأديته في النسق الزمني للرواية ككل وعلى المستوى الوظيفي تعمل هذه الاستشراقات بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها من طرف الراوي كما أنها قد تأتي على شكل إعلان كما ستؤول إليه مصائر الشخصيات مثل الإشارة إلى احتمال موت أو مرض أو زواج بعض الشخوص.» (بحراوي، ١٩٩٠م، ص١٣٢)

إن هذه التطلعات تعمل كـ"توطئة" أو "تمهيد" هو دقيق أيضاً؛ فهي تعطي القارئ لمحات عن ما سيأتي دون أن تكشف كل شيء، مما يحفز الاهتمام والتوتر في الرواية. إذن «و" هو مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر، استدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر.» (جيرالد، ٢٠٠٣م، ص٧٣)

تسريع السرد

هو أسلوب يستخدمه الكاتب لتجاوز فترة زمنية أو أحداث معينة بسرعة، مختصرًا تفاصيلها، من أجل التركيز على لحظة أو حدث أكثر أهمية في القصة. بدلًا من تقديم وصف دقيق ومفصّل لكل ما حدث خلال فترة طويلة، يختصر السارد هذه المدة بجملة أو فقرة توحي بمرور الوقت. «فهي تقنية زمنية تقضي باسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة، وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث.» (بحراوي، ١٩٩٠، ص٥٩) ونجد تسريع السرد في الرواية في عدة أماكن منها: «عقب انتهاء محاضرتين مملتين حد الدفع إلى القتل.» (الرواية، ص٥٩) يظهر أن الوقت في تلك المحاضرة قد مر ببطء شديد، مما يولد إحساساً بالاختناق والضجر. تسريع السرد هنا يعمل على تضخيم هذه المشاعر، فبداية النص تُختصر بعبارة سريعة، ما يوحي بغياب التفاصيل والتباطؤ في الحركة أو التفكير بسبب حالة الملل القاسية التي تعاني منها الشخصية «يحدث أثر التسريع عن طريق تكريس قطع قصير من النص إلى فترة طويلة من القصة، متناسبة مع "المعيار المؤسس لهذا النص.» (كنعان، ١٩٩٥م، ص٨٢)

وبعد زواج إيزابيل من حسام، مضت الأيام سريعاً حيث تقول: «وبعد عام من الكمال المطلق، حياة لطالما حلمت بها. كانت سعاد تتولى أمور المنزل كلها، وقد تفرغت

الحسام ودراستي التي بدأت مع تقدم السنوات تشكل تحديا أكبر.» (الرواية، ص٦٦) من الناحية السردية، يوحي بتجاوز الفترة الزمنية التي توصف بأنها "عام من الكمال المطلق" بسرعة، وكأن الراوية تريد التركيز على ما سيأتي بعد هذه المرحلة أكثر من تفاصيلها. تقول: «تركت الجامعة بسبب اكتئاب حاد فتك بي شهوراً عدة عندما قرأت خبر وفاة أبي في مواقع أوتاوا الإخبارية.... هالة من الفزع ابتلعتني ستة أشهر كاملة.» (الرواية، ص٦٧) على المستوى الفني، يخدم التسريع هنا غرضًا آخر: فهو يحافظ على إيقاع النص ويجنب القارئ الخوض في تفاصيل قد تكون مكررة أو مرهقة عاطفيًا. بدلًا من ذلك، يركّز النص على التأثير النفسي "هالة من الفزع ابتلعتني" ليعبر بإيجاز مكثف عن عمق الأزمة التي مرت بها (ايزابيل)، لذا «يلعب الحذف إلى جانب الخلاصة دورا حاسما في اقتصاد السرد وتسريع وتيرته، وهو تقنية زمنية تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة، من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث.» (بحراوي، ١٩٩٠م، ص١٥٦)

إبطاء السرد

إبطاء السرد هو أسلوب سردي يهدف إلى إيقاف أو تبطيء تقدم الحبكة، من خلال التركيز على الوصف الدقيق للمكان، الشخصيات، المشاعر، أو حتى الأفكار، مما يخلق إحساساً بأن الزمن داخل القصة يسير أبطأ من المعتاد.

ويؤيد هذا الرأي الدكتور عبد المالك مرتاض في قوله: «إن السرد كثيرا ما كان يغيب ليحضر مكانه الوصف الاستطرادي المضجر» (ماضي، ١٩٨٤م، ص٥٠) وقد تميزت الكاتبة رهام في رواية هشيم السابالية بوصفها الدقيق للأشياء والأماكن، كما وظّفت تقنية تسريع السرد في عدة مواضع، ما ساهم في تكثيف الأحداث ودفع الحبكة نحو ذروتها. ومن أبرز هذه المواضع نذكر:

«فوجدت نفسي في بيت مريب، مظلم، عدا من مصباح زيتي مكسور زجاجه. رائحة العفونة تفوح بقسوة من المكان، كان البيت يبعد عن بيت سعاد مسير أربع ساعات في السيارة، وكان في ضاحية مترامية على أطراف المدينة، يسكنها ثلة من الأشباح العاريين أطفالا بثياب مقطعة من نحولهم باتوا كالأشباح، دلفنا بخوف وبسيقان جزعة، فوجدت امرأة تتوسط الغرفة، لا تشبه ساحرات الأفلام المعتادين بل كانت امرأة عادية جدا لولا

المكان الذي يحيطها. والستارة البيضاء التي تتأرجح خلفها. دخان كريه الرائحة يملأ المكان يُطلق عليه " بخور " كما أخبرتني سعاد، وهو مادة نباتية عطرية، تصدر رائحة قوية عند الاحتراق يستخدمها العرب بكثرة بغية تطهير المكان من الأرواح الشريرة. فإذا لماذا لم يختفي هذا المكان عن بكرة أبيه؟ تمائم معلقة على الجدران حولها، تماثيل مريبة لها عيون بأحجام مختلفة تصطف خلفها شعرت وكأنها تنظر إلى...» (الرواية، ص٧٥) وكأن الزمن يتمدد تحت وطأة الخوف. الإبطاء هنا يعزز إحساس العزلة والرعب، ويجعل المكان يبدو كياناً حياً يراقب ويتربص. كما أن التركيز على تفاصيل مثل المصباح المكسور، والدخان الكريه، والستارة المتأرجحة، يضفي جواً من الغموض، ويزرع في ذهن القارئ تساؤلات مقلقة عن ماهية هذا المكان ومن فيه. يساهم هذا الأسلوب في تكثيف الشعور بأن الخطر ليس ظاهراً أمام العين، بل يكمن في ما خلف التفاصيل، ما يجعل القارئ حبيس المشهد مع الساردة، متوقعاً الأسوأ في أي لحظة. التسريع هنا «هو التقنية التي يقوم الراوي فيها باختيار المواقف المهمة من الأحداث الروائية وعرضها عرضا مسرحيا مركزا وتفصيليا ومباشرا أمام عيني القارئ موهما إياه بتوقف حركة السرد عن النمو.» (كنعان، ١٩٩٥م، ص٨٢)

وتعود الكاتبة لتوظف هذه التقنية مجدداً في مشهد آخر «رأسي كأنبوبة غاز على وشك الانفجار السجاجيد المطرزة على الأرضية تتبادل الأحاديث وتفخر بمن نسجها، الملابس المصطفة تثرثر، إن الملابس ثرثارة كنساء الحي، فنجان القهوة ساذج جدا، يلقي بنكات مريعة ويتثاءب دوماً، الشراشف القطنية الناعمة تفضح كم مرة بللت نفسي في الفراش طفلة وتقهقه، تنسى في كل مرة انها ذكرت نفس القصة بالترتيب ! الروايات تشتم كتابها على الرفوف، بحجة أنهم قد لعنوا الشخصيات، وحولوهم الخبر مرصوف على الورق، أمسكت رأسي وسددت أذناي بقوة.» (الرواية، ص١٠٧) الإبطاء هنا يجسد شعور الاختناق والارتباك الداخلي، وكأن وعي الساردة يتباطأ ويتشظى أمام تدفق الأصوات التي تحاصرها من كل زاوية. هذه التقنية تُجبر القارئ على السير معها داخل عقلها المشوش، ما يعمّق التعاطف مع حالتها النفسية، ويجعل لحظة إمساكها لرأسها محاولة يائسة لاستعادة السيطرة على عقلها المتمرد. «وفي المشهد يحتجب الراوي فتتكلم الشخصيات بلسانها ولهجتها ومستوى إدراكها، ويقل الوصف، ويزداد الميل إلى التفاصيل وإلى استخدام أفعال الماضي.» (زيتوني، ٢٠٠٢م، ص١٥٥)

النتيجة:ـ

في رواية "هشيم السابالية"، تُشكل المفارقات الزمنية عموداً فنيا رئيسيا يعكس تعقيد البنية السردية وارتباطها بالصراع الوجودي للبطلة. فمن خلال توظيف تقنيات زمنية مثل الاسترجاع والاستباق وتسريع السرد وإبطائه تنسج الرواية نسيجا زمنياً متشظياً يحاكي تشظي الذات. أن هذه المفارقات الزمنية ليست مجرد أدوات سردية، بل هي أشكال رمزية لصراع الذات مع هشاشة الزمن الإنساني يلعب الزمان دوراً انعكاسياً، حيث يتداخل الماضي مع الحاضر من خلال الاسترجاع الداخلي والخارجي. هذه التقنية تمنح القارئ فرصة للغوص في عمق الشخصيات، وفهم جذور معاناتها ودوافعها، ما يخلق طبقات سردية متعددة. الماضي هنا لا ينفصل عن الحاضر، بل يتسلل إليه باستمرار، ليكشف أن الشخصيات ليست مستقلة عن تاريخها، وإنما هي امتداد له.

يتحول الزمان إلى أداة تنبؤية عبر تقنية الاستباق، حيث يلمح النص إلى مصائر الشخصيات قبل حدوثها، ما يعزز من توتر القارئ ويثير فضوله. هذا الاستباق يخلق شعوراً بأن الزمن ليس ملك الشخصيات، بل يتجاوزها، يسبقها أحياناً، ويقودها إلى نهايات محتومة، وهو ما يرسخ فكرة العجز عن تغيير المصير.

يستخدم السرد تسريع الزمن وإبطاءه بطريقة تخدم الحالة النفسية والموقف الدرامي التسريع يرافق لحظات الفزع والضياع، والأحداث المتلاحقة، فيعكس اضطراب الشخصية وانهيارها الداخلي. أما الإبطاء، فيظهر في لحظات التأمل والخوف العميق، ما يسمح للراوية بفتح نوافذ على وعي الشخصية، وتفكيك شعورها بدقة.

بالتالي، يشكل الزمان في هشيم السابالية بنية مرنة ومتداخلة تخضع لتجربة الشخصيات لا لتسلسل منطقي صارم. إنه يتحرك وفق إيقاع نفسي ودرامي يعمق شعور القارئ بالعالم المظلم والمضطرب الذي تعيشه الشخصات، ليصبح الزمن ذاته جزءا من أمام ماضيه، وحاضره الصراع، ومرآة تعكس هشاش ومستقبله.

تنجح الرواية في تحويل الزمان إلى أداةٍ فنيةٍ تُجسِّد صراع الذات مع ماضيها المدمَّر وحاضرها المُلوَّث برغبة الانتقام.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن فارس أبو الحسين ابن زكريا (١٩٧٩م.) معجم مقاييس اللغة، تر عبد السلام محمد هارون دار الجيل، بيروت، لبنان، بدون طبعة.

٢. ابن منظور،(١٩٩٢م)، لسان العرب المجلد السادس، نسقه ووضع فهارسه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢.

٣. الآلوسي حسام، (٢٠٠٥م.) الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط١.

٤. بحراوي، حسن، (١٩٩٠م)، بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط١.

٥. جيرار جينيت، (١٩٩٧م)، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي، المجلس الأعلى للثقافة، بيروت، ط٢.

٦. جيرالد برنس (٢٠٠٣م) المصطلح السردي (المجلد الأولى) عابد خزندار المترجمون القاهرة – مصر، المجلس الأعلى للثقافة. بدون طبعة.

٧. جيرالد برنس، (٢٠٠٣م)، قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، مريت للنشر والمعلومات القاهرة، ط١.

٨. شلوميت ريمون كنعان، (١٩٩٥م)، التخييل القصصي الشعرية المعاصرة، ترجمة لحسن أحمامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١.

٩. صالح، نضال، (٢٠٠١م)، النزوع الأسطوري في الرواية العربية، منشورات اتحاد كتاب العرب، بدون طبعة.

١٠. طيبي جمعة، (٢٠١٠م)، دلالة المكان والزمان في الرواية الجزائرية (سأهبك غزالة) لمالك حداد، مقاربات (مجلة العلوم الإنسانية)، ط١.

١١. عاشور، عمر، (١٠١٠م) البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، بدون طبعة.

١٢. عبد المالك مرتاض، (١٩٨٨م) في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، بدون طبعة.

١٣. قصراوي، مها حسن، (٢٠٠٤م) الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١.

١٤. لطيف زيتوني، (٢٠٠٢م)، معجم مصطلحات نقد الرواية عربي انجليزي فرنسي، دار النهار للنشر، لبنان، ط١.

١٥. ماضي شكري عزيز، (١٩٨٤م)، محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث، قسنطينة – الجزائر، بدون طبعة.